

أبيوبيل المثنوي الرابع للجامعة البابوية الغريغورية

١٥٥٣ - ١٩٥٣

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

هناك مؤسسات لا تبرح على ممر القرون تطع بالفكر وتمسك الإنسان عن القنوط وتصدح مدوية بالقلم الروحية وباعمييتها واستمرارها لنحسب معها انها تسرتي شتى ضروب يوش الدهور ودهورة بعض العقليات التي تعتقد انه بمقدورها العيش بمزل بعيدة عن الخير والشر .

وتشتمل هذه المؤسسات الكثيرة على ذوي حياة تذيب نفسيا في التثقيب عن الحقيقة وابلاغها لغيرها ، على انه من الدواعي المرغبة في الاستطلاع رؤية وجوه هؤلاء العلماء وضاحة نظرة صافية لتلقي في الذهن ان ذويها يعيشون في عالم ثان مع كونهم يفكرون في هذا العالم ويجاولون اكتشاف المبادئ التي يتبني لها ان تنظم المجتمع في سيره الى الامام وفي تقدمه .

ويحف بهذه المؤسسات سلام مستفيض مع انه ربما اشتدت فيه الحروب الفكرية اشتدادا كبيرا ولكنها لن تتحول ابدا الى حراع اخوي يفتك فيه الشقاق بشيقته . اجل انه السلام الذي يحتم عليهم فهم يحاولون الاستراة من العلم ويكافحون لا في سبيل الغلبة بل يكافحون ليشركوا غيرهم بوجهات نظرهم لانهم يعتقدون انهم قابضون على الحقيقة . اجل انهم مناظرون متحسون ولكنهم يحضمون لحقيقة تسيطر على جميعهم . اما رجال العلم فكأنهم ما برحوا يعيشون بعقلية الاطفال، هذه العقيلة التي تكون جذلهم وعظمتهم .

ومن بين هذه المؤسسات مؤسسة ذات شهرة عالية : الا وهي الجامعة البابوية الغريغورية التي اختلفت في شهر تشرين الاول الماضي بيوبيل تأسيها المثنوي الرابع . ولقد أسسها القديس اغناطيوس دي لويولا في رومة سنة ١٥٥١ ولم تتخذ لقب جامعة الا سنة ١٥٥٣ اي عندما شرعت تدرس اللاهوت . وكانت وضيفة في سنها الاولى ومع ذلك كان لا بد لها من ان تبدأ وان تفكر في الدفاع عن الكنيحة التي هاجتها الانشقاقات الداخلية والخارجية

ولا سيما البروتستانتية التي كانت تحفر لها الاحافير وتفصل عنها اعضا. كثيرين ومناطق برمتها، وتلك البروتستانتية التي زعمت انها المعقل الوحيد للعلم الحقيقي. ولقد أسس اغناطيوس المدرسة الرومانية بما قدمه له فرنسيس دي بورجيا، - وتنان اذ ذلك ماراً برومة وقد ينخرط يوماً في الرهبانية اليسوعية ويصبح رئيساً عاماً لها - وبما اعطاه اياه البابا يوليوس الثالث. وكان على هذه المدرسة، بحسب فكرة اغناطيوس، ان تستخدم تثقيف ابنائها وجميع الذين كانوا يتأهبون للدراسات العليا وللمراكز حكومة الكنيسة الرئيسية.

وكانت هذه المدرسة في عهدها الاولى حقيرة وبئزل فقير على اقدام الكابيتول ولكنها بعد ستين ضاقت عن استيعاب الطلاب الذين كانوا يؤمنونها بكثرة من جميع الامم مما اضطر اصحابها الى ان ينقلوها الى قرب كنيسة السيدة « supra Minervam » وعلى اثر كارثة سمحت بها العناية الالهية انتقلت المدرسة الرومانية الى مكان آخر وذلك سنة ١٥٥٩. واتفق ان يحدث فيضان نهر التير بها اضراراً واذا استشر البابا بيوس الرابع عمق فعلها في جماعة طلابها اثر بنفوذها على اشراف رومة لانشاء دار اخرى بُنيت بجانبها كنيسة اسمها كنيسة سيدة البشارة فكانت من حيث هندسة بنائها ومن حيث رسوما مفضرة من مفاخر اخوة الرهبانية اليسوعية. وفي ذلك المقام نشأت اول اخوة مريمية « Prima Primaria »

وكان لا بد لازدياد عدد الطلاب ولتسهم غريغوريوس الثالث عشر السدة البابوية العليا من ان يتغير مقر المدرسة الرومانية. وبصفة كون ذلك البابا صديقاً لليسوعيين ومعجباً باعمالهم في الحقلين المدني والديني اصدر امره بهدم المدرسة الرومانية وابعادة بنائها بحسب فن متقن. فسمح لها اتساعها بان تقبل عدداً كبيراً من الطلاب.

وفي سنة ١٥٨٣ بعد ان اعيد بناء المدرسة الرومانية كان لا بد لها من ان تحمل اسم المحسن الكبير غريغوريوس الثالث عشر وتصبح الجامعة الفريغورية الحقيقية. وغريغوريوس الخامس عشر الذي رأى ان كنيسة البشارة كانت ضيقة جد الضيق لاستيعاب عدد الطلاب الكبير الذين كانوا يؤمنونها من جميع الاصقاع قرر ان يهدمها وان يعيد بدلاً منها بناء كنيسة لاثقة بالجامعة وجعلها باسم مؤسس

الرهبانية اليسوعية الذي جعل في مصاف القديسين سنة ١٦٢٤ . وهذه الكنيسة بفسح ارجائها ورسوم سقفها وجدانها تشير الى مهارة صانعها العظيمة وبثورتها الوافرة التي تردان بها مذايحها تعد من اجمل كنائس عاصمة المسيحية .

٥

قد كان على الآباء اليسوعيين ان يديروا هذه المدرسة الرومانية طوال ٢٢٠ عاماً قدموا في خلالها خدمات جلي لمختلف العلوم الاكليريكية ووقفوا توفيقاً عظيماً في خدمة الكنيسة ، وحسبنا ان نشير الى اسما . بعض الذين اشتهروا بتدريس اللاهوت والفلسفة والعلوم والكتاب المقدس كالقديس بلارمينوس والكوردنالين دو لوغو (de Lugo) وتولت (Tolet) والآباء . سوارز وفاسكيز وكورنيليوس الجبري (Cornelius a Lapide) وكلافوس الملقب بارقليد زمانه وغيرهم كثيرين . ولن ننسى يوسكوفيتش وبلافيشيني .

وما انفك الطلاب يتدفقون بكثرة فبلغ عددهم سنة ١٦٠٠ الفي طالب جاوزوا من المدارس المجرية - الجرمانية ومن المدرسة الاكليريكية اذرومانية ومن المدارس الانكليزية والايروندية واليونانية والمارونية والكبرياتيكا الخ : . وكان في المدرسة الرومانية مختبرات تحوّل الطلاب ان يجروا التجارب بانفسهم وانس فيها الاب كلافوس سنة ١٥٧١ مرسداً كتبت له شهرته الكبرى في جميع اوروبة مع المتاحف الضنية جداً التي ادارها الاب كيرشر الطائر الصيت . وزد على كل هذا فان المدرسة الرومانية كانت تدرس اللغات القديمة كالعبرانية واليونانية واللاتينية والسرمانية وقد اضيف اليها معهد للثقافة الدينية للالمانيين امه كثيرون من كبريات شخصيات المدينة الخالدة . واذا ما استحسنا لنفنا ان نذكر من بين طلاب هذه الجامعة الفريغورية اشدّهم نبوغاً فاننا لنذكر الذين طوبتهم الكنيسة وهم القديس لويس غوتراغا وجان بركس وروبر بيلارمينوس وكيل دي لايس (Camille de Lellis) وليرناد دي بورت موديس (Léonard de Port - Maurice) . ودرس في هذه الجامعة باباوات عظام كغريغوريوس الخامس عشر واوربانوس الثامن واينوشسيوس العاشر وكليمنضوس التاسع وكليمنضوس العاشر واينوشسيوس الثاني عشر وكليمنضوس الخادي عشر واينوشسيوس الثالث عشر وكليمنضوس الثاني عشر ولاورون الثالث عشر

وبندكتوس الخامس عشر وبيوس الحادي عشر وبيوس الثاني عشر المالك سعيداً. وإننا نستح لفسنا الحق بان نشير الى جميع طلاب المدرسة المارونية المشهورين الذين داوموا على الجامعة الترينورية وكان لهم بعدئذ شهرة تعليمية عظيمة في اوربة كالمهنة والحصارنة وعميرة والشداوي والحقلافي ومبارك والباي وغيرهم.

٥

لقد حالف التوفيق الجامعة الترينورية حتى سنة ١٧٧٣ - وهي السنة التي أُنيت فيها الرهبانية اليسوعية - وقد سلمها الحبر الاعظم الكهنة روما العلمانيين فاداروها تحت اشراف لجنة من الكرادلة حتى عهد البابا لاوون الثاني عشر الذي اصدر برأته (Cum multa) واصر فيها بارجاع الجامعة الى الآباء اليسوعيين وذلك سنة ١٨٢٤ فكان عميدها الذي عين لها الاب تبارلي دازغايو (Taparelli d'Azeglio) الشهير .

وعقب حوادث سنة ١٨٧٠ افلتت من يد الجامعة الصرح الجميل الذي كانت فيه وانتقل مهدها الفلسفة واللاهوت الى قصر بورمايو (Borromaeo) وارتقت الدروس اللاتينية والادبية باسم من الملك. اما الذين جعلوا شهرة للجامعة في ذلك العهد فكانوا: بيرونه (Perrone) وغوري (Gury) وفرتز (Franzelin) ومازيليلا (Mazella) وبلياري (Palmieri) وسكي (Secchi) وكلوطنجن (Kleutgen) واورابورو (Urraburu) وفرتز (Wernz) وبيروت (Billot) ودي لاتيل (de la Taille) ودرييني (d'Herbigny) ودي غيرت (de Guibert) وفرمرش (Vermeerseh) وفرويس (Froebes) وغيرهم . وكانت العلوم على تقدم مستمر مع اساتذة كهؤلاء . وكان عدد الطلاب يزداد يوماً عن يوم .

والحق البابا بيوس التاسع سنة ١٨٧٠ مهدياً للحق القانوني بالجامعة واجريت توسيعات كثيرة فيها في عهد خلفائه .

واصدرت الجامعة في حزيران سنة ١٩٢٩ المجلة الفلسفية اللاهوتية الترينورية (Gregorianum) . وخول مجمع الدروس المقدس سنة ١٩٢٢ الجامعة اعطاء شهادة (Magister aggregatus) لتبث كفاءة الطلاب الذين تلبوا صفوفها بنجاح و يرغبون في الاستعادة من العلوم . وفي سنة ١٩٢٤ ضم اليها البابا بيوس الحادي عشر معهد التعليم العالي للادب اللاتيني . واذا ضاقت الامكنة فيها

انشأوا ابنية جديدة قرب (Piazza della Pilotta) ودشوها سنة ١٩٣٠ وقد
 اضافوا اليها تدريس التاريخ وعلم الارساليات .
 واتعت في هذه الفترة معاهد دراسة التوراة والاستشراق والثقافة الدينية العليا
 للعلمانيين . اما في السنوات الاخيرة فقد افتتح فيها معهد الدراسات الاجتماعية . ولاسيلا
 لاغفل الاشارة الى مكتبتها فبهي غنية جد الغنى وتشتمل على خمسة الف مجلد .
 فالجامعة الفريغورية هي الجامعة التي تستكمل فيها اتم الدراسات
 الاكليريكية . فهي جامعة البابا وعميدها هو مدير المجمع المقدس للدروس
 والمعاهد الاكليريكية . اما رئيسها فيمنه الحبر الاعظم .

•

ولقد تكافأ تدفق الطلاب على هذه الجامعة مع المجهودات التي بذتها
 الرهبانية اليسوعية لتزودها بعدد كبير من الاساتذة الذين يزيدون على مئة
 استاذ ينتمون الى عشرين امة . ويبلغ عدد طلابها سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ الفين
 وثلاثة واثنين وسبعين طالباً ينتمون الى ٦٠ امة بينهم ١٢٧١ من الاكليروس
 العلماني و ١٠١ من الرهبان .

•

كان من حق هذه الجامعة الفريغورية ان تحتفل بيوبانها المتوي الرابع احتفالاً
 لن تندثر ذكراه وذلك من اليوم الثالث عشر الى اليوم العشرين من شهر تشرين
 الاول الماضي .

وانها لفكرة جميلة راودتها ان تحشد في مؤتمر علمي للابحاث العلماء الوافدين
 من مختلف الامم فكان الاحتشاد ما . يوم الثلاثاء . قبل افتتاح المؤتمر في
 رواق الجامعة حول الرئيس والاساتذة وحول رئيس الرهبانية اليسوعية العام
 للترحيب بالوافدين وتحية الحبر الاعظم - وغداة اليوم الثاني عند الساعة التاسعة
 صباحاً كان الاجتماع في الكابيتول لتحية محافظ روما السيد ريبكيني
 (Rebecchini) الذي رحب بقدم مندوبي الامم المختلفة الى عاصمة بلاده
 ليشرفوا بحضورهم الجامعة الباباوية . اما افتتاح المؤتمر الحقيقي فكان عند الساعة
 العاشرة . ولقد كان من المقرر ان تكون هناك خمسة اقسام : القسم اللاهوتي
 والفلسفي والتاريخ الكنسي والحق القانوني والارساليات . فانشر مندوبو

مختلف الجامعات العلمية والمشاركين بالمؤتمر البالغ عددهم ١٠٠٠ شخص في شتى ردهات الجامعة الواسعة . فيها يعالج الاب برون (Brown) اللاهوتي البار الذبح اللاهوتي العلمي وهناك يبحث الاب لويس دي رادماكر (de Radmaeker) خاصة البرهان على وجود الله ويبحث الاب ارنو (P. Arnou) تارة الله وكيانه المستقل تمام الاستقلال عن الكون الذي خلقه بفعل ارادته الحرة ، وهناك الاب كيرشبروم (P. Kirschbaum) يتحدث عن حفريات دياميس الفاتيكان الجديدة والاب ستيكلر (P. Stickler) عن صلاة الكهنوت بالامبراطورية والاب ميكليلس (P. Michiels) والاب فويتس (P. Wuyts) عن الشخصية الادبية ، ويتكلم الاب نيث (P. Nève) على الحياة التأملية في بلدان الانرسانية والاب زاميزا (P. Zameza) على تعاليم المرسل الروحي .

وهذه البحوث والكثير غيرها وما تحللها من مناقشات مشوقة مفيدة كان لا بد لها من ان تستغرق الوقت حتى يوم السبت الواقع في ١٧ من الشهر وهو اليوم الذي جاء فيه الخبر الاعظم من قصر كاستيل غاندلفو لمقابلة المندوبين الى المؤتمر والمشاركين فيه بالفاتيكان . ولقد كان عددا زهاء اربعة آلاف شخص خطب فيها الاب الاقدس بصدور العمل الهللي اللاهوتي وبصدور البحث عن الحقيقة واهمية اللاهوت الوضعي في يومنا الحالي .

وغدا يوم الاحد التالي احتفل الكردينال ميكرا (Micara) نائب قداسة البابا في مدينة رومة بقداس حبري ضم حول المذبح رجال المؤتمر ، وفي مساء اليوم نفسه وفي الردهة التي تحمل اسم البابا بيريوس الثاني عشر القائمة عند طرف شارع (della Conciliazione) اجتمع جمع كبير ، حول عشرة كرادلة و ٩٠ الى ١٠٠ اسقفا زهاء خمسة آلاف شخص في وسط جو سعري فنان يشهدوا نتائج المؤتمر . وكان المندوبون البالغ عددهم حوالي ٢٠٠ مندوب وقد وفدوا من جامعات اوروبة واميركا وآسية وهم من الاكليزيكيين والعلمانيين يشقون جهود الحاضرين ببذلاتهم الرسمية ويصعدون المنصة ويلتفون حول الكردينال بيزاردو (Pizzardo) ورئيس الرهبانية اليسوعية العام ورئيس الجامعة القبريقورية .

وشكر الرئيس الحاضرين وبخاصة مندوبي مختلف الجامعات والابر الاعظم الذي شرف اليوبيل والمؤتمر برسالة شخصية وجهها اليه شخصياً وشكر الله الذي

وهبنا النور والشجاعة للبحث عن الحقيقة والعدل على نشرها .
 وحان بعد ذلك دور مندوبي اقدم الجامعات الثلاث وهي جامعة بولونيا
 (Bologne) وباريس (السوربون) وسانكا ، وهذه الاخيرة قد احتفلت بيريالها
 المذري السابع منذ عهد قريب وفي شهر تشرين الاول نفسه .
 وبعد ان اثني هؤلاء الثلاثة على المجهود المستمر الذي تبذله الجامعة
 القريغورية اوضحوا الرعبه الشديده بان تستوحي الحكومات في عملها الفكرة
 المسيحية المستدة من منابع الوحي .

ومن ثم كان دور الكردينال سيري (Siri) رئيس اساقفة جنوى الذي
 شدد بحدود اهداف الجامعة الروحية منذ تأسيسها حتى الآن . وقد تولى على
 الخطابة بعده الكردينال بيزاردو مدير مجمع المعاهد الاكليريكية والدراسات
 وهر عميد الجامعة الاكبر واخذ يسدي نصائح التي تقتضي بها الظروف
 للحاضرين . وختم كلامه ببرقية للبحر الاعظم .

ولقد كان المؤتمر وشيك الانتهاء . وفي غداة الاثنين التالي كانت ترحمة
 خارج المدينة في جبل كاسينو (Monte Cassino) ضمت عدداً كبيراً من
 الطلاب القدماء ، ويوم الثلاثاء احتفل باقامة قداس لتذكارة المتوفين منهم من
 اولئك التلاميذ الذين من تأسيس الجامعة الى اليوم تداولوا على استقاء العالم
 من ينابيعها . فكان ذلك مك الحتام .

=

اجل في مقدورنا القول ان الافكار هي التي تدير العالم ولكن مها يكن
 من امر فان هؤلاء الباحثين المتجردين الذين يقضون حياتهم في الدرس والتعب
 من منطوق ابد ما يكون عن النقصان للتعبير عن الحقيقة يريدون ان يبنوا
 اخواتهم في سيرهم الخليل نحو الآخرة ، فهم هم الذين يدعمون مجتسماً يتطور
 بسرعة ويسير نحو تهديم ذاته لولا انما الفكر للقلوب الكبيرة . فان التاريخ
 الحقيقي ليس التاريخ الذي تفرده الحروب وشهب الارماح ولكنه التاريخ الذي
 يتلد بنضج مستمر في عقول الذين يريدون ان يخدموا انسانية متألمة وانفتحتهم
 باعطائها ما هو من شأنه ان يقونها بالحقيقة ، وخاصة اذا كانت هذه الحقيقة
 مستدة من ينابيع الوحي في كنيسة لن تقوى قوات الشر وابواب الجحيم عليها .